دور الاعلام في نشر ثقافة الوحدة

دور الاعلام في نشر ثقافة الوحدة

المستشار / توفيق علي وهبة

رئيس المركز العربي للدراسات والبحوث

عضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

مقدمة:

يتعرض الاسلام في هذه الحقبة من الزمن لحملات عدائية شرسة ومركزة من الداخل ومن الخارج يقودها الاستعمار و الاستكبار العالمي والصهيونية والمبشرين والمنصرين بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وعملاءهم في الداخل وهم كثر من علمانيين وملحدين وشيوعيين ومنكري السنة وغيرهم .

كل هذه العصابات اتحدت ارادتهم علي الكيد للاسلام والعمل علي بث الفتن والدسائس بين دوله . وساعدهم في ذلك التطور الاعلامي الهائل الذي ينشر الشبهات والافتراءات ضد الاسلام والدول الاسلامية علاوة علي الافلام والمسلسلات والبرامج المعدة خصيصا للشباب الاسلامي والمرأة المسلمة بل ولكل طبقات وأطياف المجتمع المسلم .

وباتت الأمة الاسلامية تدرك أنها تتعرض لحملة استعمارية منظمة أشد قسوة مما كانت عليه من قبل .

ولقد أدرك المسلمون أنهم يمرون بمرحلة من أخطر المراحل التاريخية التي تحتاج الي توحيد الجهود نحو عمل اعلامي منظم ومكثف يواجه هذا الغزو الاستعماري الشرس . ويبدأ ذلك بتكثيف الجهود الوحدوية والتقريبية . فالمسلمون أمة من أقوي الأمم لو اتحدت ارادتهم وتقاربت مذاهبهم وطوائفهم وفرقهم . ان الاسلام يجمع ولا يفرق . ويوحد ولا يشرذم .

ان المسلمين أمة لها في تاريخها المجيد وماضيها التليد عبرة وقدوة فقد كانت وسوف تستمر خير أمة أخرجت للناس كما وصفها ربنا جل وعلا .

فماذا هي فاعلة خير أمة أخرجت للناس لتنصر دينها وتنصر أتباعها وتقيم وحدتها وتحمي دولها . يجب في البداية أن يكون لديها اعلام قوي وفاعل ومنظم ليواجه حملات اعدائها ثم ليؤسس وينظم أسس وقواعد ونظم الوحدة التي تتطلع اليها أمة الاسلام . فما هو الاعلام المطلوب ؟

أولا:وسائل الاعلام

ان وسائل الاعلام والاتصال في هذه الأيام هي المسئول الأول عن عملية نقل صور الشعوب وثقافتها وصياغة المواقف منها وحولها , ولا يخفي علي أحد أهمية هذا الدور وخطورته في آن واحد, فالاعلام يبلور السياسات ويكون الاتجاهات , ويوجه القرارات لدي الدول والجماهيرفي الوقت نفسه , وبحاصة مواقف التعاطف أو النفور . وعلي ذلك يمكن تعريف الاعلام ودوره بأنه :..

هو: "تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم"

وأما الاعلام الاسلامي فهو وان كان مازال في طور التأصيل من الناحية النظرية والعملية , فانه يمكن تعريفه بأنه :" فن ايصال الحق للناس بقصد اعتناقه والتزامه , وفن كشف الباطل ودحضه بقصد اجتنابه, فهو بناء وتحصين ".

ويقصد بوسائل الإعلام في الأصل جميع الأدوات التي تستخدم في صناعة الإعلام وإيصال المعلومات إلى الناس بدءاً من ورق الصحيفة والاذاعة والتليفزيون وانتهاءً بالحاسبات الآلية والأقمار الصناعية،وجميع وسائل الإعلام – في حد ذاتها – أدوات محايدة تدخل في دائرة المباحات، والحكم عليها يدور بما تحمله من رسائل، وما تقوم به من وظائف، فهي يمكن أن تقوم بوظيفة الخير أوالشر بحسب أغراض الجهة التي تملك هذه الأجهزة، وتسخرها لمصلحتها.

وصناعة الاعلام تطورت في هذا العصر تطورا سريعا ومتلاحقا

بشكل لم يسبق له مثيل ، لدرجة أن البعضأصبح يسمي هذا العصر الذي نعيش فيه عصر المعلومات او عصر ثورة المعلومات وذلك مقابلما كان يعرف بعصر الثورة الصناعية وقبلها عصر المجتمعات الزراعية .

ومن يتابع الاحداث الاعلامية في السنوات الأخيرة في عالمناالاسلامي يجد أنها تتطور بسرعة كما أن العالم كله يتطوروفق مرئيات وتأثير هذا الاعلام.

ويرجع الفضل الي ثورة المعلومات والاتصالات في كشف وبيان مايدور في العالم.

ولم يتوقف هذا التقدم في النهضة المعلوماتية علي ماتقدمه الحكومات والجهات المعنية , وانما أصبح لدور الشخص العادي أهمية بالغة من خلال الهواتف الحمولة والفضاء الألكتروني لشبكة الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي علي الشبكة العنكبوتية, حيث يقوم بعمل تغطية فورية للأحداث بالصوت والصورة والفيديو ويتبادلهامع القنوات الفضائية والمواقع الاعلامية والأشخاص علي مستوي العالم.

وهذا الجهد الشخصي أو الفردي له جانبان :

- جانب ايجابي يتمثل في نشر الوقائع اليومية لحظة بلحظة .

- جانب سلبي اذا ما أسيءاستخدام هذه التقنية في بث معلومات مغلوطة أو أكاذيب, كما يفعل أعداء الاسلام وغيرهم من الموتورين.

لذلك يجب التصدي لهذا الجانب السلبي الذي يتعمد الاساءة للدين أو الوطن سواء من قبل أفراد موتورين كل همهم الاساءة الي الاسلام لاكتساب مكانة لدي الدول المعادية والحصول علي مغانم أو منافع شخصية لأنفسهم , واحتضانهم من جانب تلك الدول , والأمثلة علي ذلك كثيرة في طول البلاد الاسلامية وعرضها .

وسواء كان هذا من جانب جماعات منظمة من علمانيين وشيوعيين ويساريين والمسميات لهؤلاء أصبحت كثيرة ومتغيرة للتغطية علي عدائهم للاسلام والمسلمين وعمالتهم لأعداء أوطانهم

هذا ناهيك عن الاعلام الغربي الكاره والحاقد علي كل ماهو اسلامي فهو يغمض عينيه عن كل ماهو ايجابي في بلاد المسلمين ويلاحق الصغائر ويضخمها ليحيلها الي جبل من الأمور الشائنة المعيبة امعانا في كراهيته وتحامله علينا ليزرع في أذهان الشعوب حول العالم ما يشاء من الصور ويدفع بهم الي ما يشاء من مواقف لايبالي فيما يتناوله من مصداقية أو حقيقة, وانما يبث ما يراه معبرا عن مواقف دوله وقناعاتها .وأصبح للاعلام الغربي قوة وقدرة مخيفة , وأصبح المقال الذي ينشر في أي دولة من دولهم الذي يحمل العداء والتشكيك والبهتان ضد الاسلام جاهزا خلال دقائق معدودة علي شبكة الانترنت مشاعا بين الناس ينشر الفساد والكراهية والافتراء والبهتان.

ان صور المسلمين الحضارية في معظم وسائل الا علام الغربية لاتعكس صورة المسلمين الحقيقية, كما أن الأحكام المعيارية حولها لاتستند علي موضوعية موثوقة .

لقد شكلت صورة الشخصية العربية والاسلامية في سياق سلبي لدي الاعلام الغربي , فغلب علي ملامحها الانغلاق والتعصب والجهل والعدوانية انها الصورة القاتمة قي ذهن الانسان الغربي , الذي يتلقي معلوماته عن الاسلام والمسلمين من وسائل اعلام موجهة في معظمها من مراكز وقوي ضغط ليست محايدة .

في مقابل ذلك نجد الاعلام الاسلامي غير قادر علي ملاحقة ومواجهة الاعلام الغربي. فشعوب العالم لاتعرف – في معظم الأحوال – عن الاسلام وقضاياه الا ما تتلقاه من الاعلام الغربي والصهيوني المصمم والمبرمج علي نشر سمومه وتشويهه للاسلام وحضارته .

فالصحافة والاعلام الاسلامي في حاجة الي دفعات قوية لملاحقة مايدور حولنا ومايحاك ضدنا كدول وأشخاص ومعتقدات .

لقد تعرضت الأمة الاسلامية لعملية غزو اعلامي غربي وخاصة ماتنقله عنهم بعض القنوات الفضائية الخاصة التابعة لبعض رجال الأعمال أو الشركات الاعلامية في بعض الدول الاسلامية التي لاتهتم الا بجذب

الشباب والمراهقين لأسباب تجارية ومغانم شخصية دون النظر الي قيم وتقاليد مجتمعاتنا الاسلامية

وأصبحت هذه القنوات أداة لافساد الشباب وليست أداة اصلاح , وكان من واجب هذه القنوات –خاصة أنها موجهة الي أمة الاسلام في الأساس الأول ثم الي بقية دول العالم – أن تنتقي المعلومات والبرامج المفيدة التي تركز علي تعميق وعي الشباب وثقافته الدينية وتقاليد وأعراف مجتمعه .

وعلي سائر وسائل الاعلام مسموعة ومقروءة ومرئية تعويد المتلقي علي التعامل الحضاري مع المعلومة , وتعميق وعيه بايجابياتها وسلبياتها .

خطة اعلامية اسلامية :

ان علي الدول الاسلامية ومايعمل من خلالها من منظمات ومؤسسات مثل منظمة المؤتمر الاسلامي ومؤسساتها أن تضع خطة اعلامية ذات مسارين لمواجهة الاعلام الغربي المفسد للمجتمع والمعادي للدين :-

1- خطة اعلامية لمواجهة الغزو الاعلامي والثقافي الغربي تستند غلي اختيار الطرق والوسائل الكفيلة للتقليل من طوفان المادة الاعلامية الأجنبية ومحاولة منع البرامج التي لاترتبط بقيم المجتمع وثقافته .

2- خطة اعلامية لتحصين الشباب سياسيا واجتماعيا وثقافيا وتربويا وتعميق وعيه بحقائق الغزو وسلبياته , وتطوير وسائل اعلامية وطنية , وجعل التراث الاسلامي الاساس الذي يستخدم كقاعدة تغذي

الثقافة الاعلامية باعتباره مصدرا ثريا لمواجهة تحديات وافرازات العولمة وعاملا مساعدا لتشكيل تجانس ذهني وروحي بين شباب الأمة .

و علي المؤسسات الاعلامية وصناع القرار وضع خطة اعلامية وتطبيقية لمواجهة العزو الاعلامي والفكري وبناء رسالة اعلامية قادرة علي حماية الشباب من الظواهر الاعلامية السلبية في حياة المسلمين المعاصرة وذلك بالعودة الي المعين الذي لاينضب وهو كتاب ا وسنة رسوله صلي ا عليه وسلم وفكر الائمة الأعلام .

دور وسائل الإعلام في بناء الثقافة والمعرفة::

وهو دور من أهم الأدوار التي يمكن أن تقوم بها وسائل الإعلام, ذلك أن بناء الإطار المعرفي للفرد في واقعه الاجتماعي إنما يعتمد في الأساس على خبراته المباشرة وغير المباشرة بالواقع الاجتماعي المحيط به, ونظراً لصعوبة اعتماد الأفراد على خبرات مباشرة في فهم هذا الواقع بحكم الحيز الزمني الذي يمكن أن يتوفر للإنسان, ومحدودية الفرص المتاحة له للتعرف على ما يحيط به على نحو مباشر,

فإنهم يعوضون ذلك باعتمادهم على وسائل الإعلام التي تقدم للأفراد المعلومات عن واقعهم, وبذلك تسهم هذه الوسائل كغيرها من مؤسسات المجتمع في تشكيل إدراك الأفراد لواقعهم وأدوارهم في ذلك الواقع.

ولقد ظهر مفهوم التربية الإعلامية في أواخر الستينات, وتطور ذلك المفهوم وأصبح ينظر إليه على أنه تعليم بشأن الإعلام وبشأن تقنيات وسائل الإعلام الحديثة, يهدف إلى إعداد الشباب لفهم الثقافة الإعلامية التي تحيط بهم والمشاركة فيها بصورة فعالة, أي التعليم والتعلم بشأن الإعلام حيث يكون الأطفال

والشباب هم المستهلك الرئيسي للخدمات الإعلامية.

حرية الصحافة والرأي :

ويجب في هذا الإطار ضمان حرية الصحافة والرأي في إطار التعادلية بين حقوق الصحفيين وواجباتهم, وحق المواطن في صيانة حياته الخاصة من أي تشهير أو اعتداء أمر في غاية الأهمية.

فأهم وظائف المقال النقدي هو التقويم, وهو جوهر المقال التحليلي الذي يعتمد على ثقافة كاتبه المتعمقة في مجالاته المتخصصة, ويعتمد على النقد العقلي للدوافع التي تكمن وراء الخبر أو الحدث, ليتمكن الكاتب في نهاية مقاله التحليلي من تقويم الحدث والوصول إلى الهدف المنشود, ولهذا يجب تفعيل وظائف الصحافة المتخصصة "الإخبار والإعلام والإمتاع والمؤانسة والتسويق أو الإعلان والتعليم أو التنشئة الاجتماعية والتوجيه أو الإرشاد ثم التفسير أو الشرح".

إن الرسائل الإعلامية هي منتجات ثقافية تعكس أهداف وقيم واتجاهات القائمين بالاتصال بنفس القدر الذي تعبر عن بعض احتياجات المتلقين لتلك الرسائل الإعلامية. ويجب أن نعترف بأنه يوجد نقص كبير تعاني منه البحوث العلمية في مجال الإعلام والاتصال في العالم العربي, بسبب أن هذا المجال يعتبر جديد نسبياً في العلوم الإنسانية العربية, بالإضافة إلى عدم توجيه البحث العلمي في الجامعات العربية إلى مجال الاتصال لقلة الوعي بأهميته وجدواه, وظل العالم العربي تابعاً للبحث العلمي الغربي في هذا المجال.

إن الميدان الآن يحتاج إلى منطلقات بحثية بأدوات منهجية متطورة لدراسة أثر المضامين التي تبثها

وسائل الاتصال على المتلقين من الناشئة, ويجب الأخذ في الاعتبار مستوى ذكاء المتلقي لمادة تلك الوسائل, وعمره وتعليمه ومستوى ثقافته, وهي عوامل تلعب دوراً خطيراً في حجم التأثير الذي تحدثه,

وأسباب المطالبة بهذه البحوث منطلقة من أهمية وسائل الإعلام ذاتها, ومن اهتمام الجمهور والحكومات بتأثير وسائل الإعلام, ويحتاج أيضاً إلى إجراء دراسة على القائمين بالاتصال أو المسئولين عن توجيه الرسالة الإعلامية للنشء آخذة في الاعتبار خلفياتهم الأسرية, ومستوياتهم الاقتصادية, وتوجهاتهم المهنية, ومستوياتهم التعليمية ومراتبهم الوظيفية, وتأثير ذلك على موقفهم من بعض قضايا مجتمعهم,

وتتلخص الإشكالية في عدم وجود استراتيجية ثقافية شاملة يتم خلالها التخطيط السليم ووضع الأهداف المراد تحقيقها من خلال نشر هذه المواضيع وسبل معالجتها وكيفية طرحها.مما يوجب علينا سرعة وضع هذه الاستراتيجية والبدء في تطبيقها لمواكبة التطور العالمي المتعاظم في هذا المجال .

ثانيا الثقافة والوحدة

الثقافة امر يهم الإنسان ، وخصيصة من خصائصه التي تميز بها وانفرد عن غيره من المخلوقات .

وقد لازمت الثقافة الانسان في العصر الحجري والعصر البرونزي، وعصر انبثاق الحضارات المختلفة ، ثم العصور الحديثة

ولما كانت الثقافة ملازمة للإنسان ، أيا كان هذا الإنسان ، كا ن من شأن الباحث أن يتعرف الي هذه

الكلمة التي غدت في حياة الناس من أكثر الكلمات شيوعا واستعمالا, وعندما يطرح الباحث سؤلا يقول فيه :

ما هي الثقافة ؟

كيف هي الثقافة التي بلغها الإنسان في هذه المرحلة من مراحل التطور الفكري ؟ وكيف يري الإنسان هذه الثقافة ؟

وهل هي مجرد معلومات تقتني ، وتراكم للمعرفة فقط أم هي معلومات ومواقف متحركة ومتجددة ؟

وعندما نبحث في الإجابة نفاجأ بتباين الإجابات وتعددها ، حتي ان العلماء قالوا : انه يمكن إحصاء مئات التعريفات لهذا المصطلح ، وهي تعريفات متنوعة ، ومتناقصة ، ووافرة العطاء لكنها – أيضا – كثيرة الغموض والتلون

ففي العلوم الإنسانية بعامة ، لا تكاد توجد أحكام مطلقة، تتوافر لها الصحة الكاملة ، وأغلب ما يمكن الوصول اليه : هو الاجتهادات العامة .

فالتعاريف التي اقترحت لتعريف الثقافة في المئة سنه الأخيره – علي الأقل – بلغت حدا من التنوع يصعب فيه الاتفاق علي التعريف .

يقول بعض العلماء : " الثقافه تكاد تكون سرا من الأسرار الممثلة في كل أمة من الأمم ، وفي كل جيل من البشر ، وهي في أصلها الراسخ البعيد الغور ، معارف كثيرة لا تحصي ، متنوعة ابلغ التنوع ، لا يكاد يحاط بها ، مطلوبه في كل مجتمع إنساني للايمان بها عن طريق العقل والقلب ، ثم العمل حتي تذوب في بنيان الإنسان فتجري منه مجري الدم ولا يكاد يحس به

وقد استعمل العرب كلمة الثقافة للدلالة علي :

الحذق ، وسرعة الفهم ،وسرعة التعليم ، والضبط ، والفطنة ، والذكاء، والظفر بالشيء وتسوية المعوج من الأشياء كالرمح والسيف ، والتقويم والتهذيب ,يقال : ثقف الشئ ثقفا وثقافا : اذا حذقه، ويقال رجل ثقف لقن ، اذا كان ضابطا لما يعلم ، قائما به ، ويقال غلام لقن ثقف ، أي ذو فطنة وذكاء ، والمراد : انه ثابت المعرفة بما يحتاج اليه ، وقد جاء في حديث أم حكيم بنت عبد المطلب : " إني حصان فما أكلم ، وثقاف فما أعلم ."

ويتضح من عرض المعاني المتعددة لكلمة الثقافة في اللغة العربية –كما ذكرت المعاجم اللغوية – أن الكلمة تستعمل في الأمور المعنوية العقلية أكثر من دلالتها علي الحسيات

ولا يخفي : ان الثقافة – بمدلولها العام الشائع - كلمة جديدة لا تتصل بالمدلول اللغوي ، والذي ذكرته معاجمنا اللغوية إلا علي ضروب من التأويل والمجاز لا تستقيم في الأحوال التي تستعمل فيها كلمة ثقافة

ومما يحسن أن نشير اليه ان مادة ثقافه قد جاءت في القرآن الكريم :

قال تعالي : (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتي يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) " البقرة 191

وقال تعالي") فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) 4 " النساء 91

وقال تعالي :) فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) " الأنفال 57

ومعني ذلك اذا حكمتم عليهم، ولقيتموهم قادرين عليهم .

ويقال : رجل ثقف لقف – بسكون القاف وبكسرها في الكلمتين اذا كان محكما لما يتناوله من الأمور.

وهو أيضا مأخوذ من الثقاف، أي ظفرتم بهم مغلوبين متمكنا بهم

ومعناه : تأسرهم وتحصلهم في ثقافك ، أو تلقاهم بحال ضعف تقدر عليهم فيها وتغلبهم ، وهذا لازم من اللفظ لقوله " في الحرب "

وقال بعض الناس : معناه : تصادفهم ، الي نحو هذا من الأقوال التي ترتبط في المعني، وذلك أن المصادف قد يغلب فيمكن التشريد به وقد لا يغلب .

ولقد افادت الدراسات : أن الثقافة في أي عصر ليست مجرد معارف ومعلومات تلقن ، بل هي ثمرة ذلك

التراث بحيث تظهر آثارها في المجتمع والأسرة والفرد

وقد يكون واضحا: أن ثقافة الإنسان لا تقدر بمقدار ما يقرأ من الكتب وما تعلم من الفنون والآداب ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو في النفس ودقة في الشعور وتذوق الجمال

فالثقافة إذا تعني : السجية ، أو البديهة فيما يتعلق بالفرد ,وفيما يتعلق بالأمة فهي تعني شخصيتها وروحها بحيث تكون ثقافة ل شعب مميزا له عن سواه.

والأمم تقاس رفعة وانخفاضا بمقوماتها الفكرية ، وقيمها الأخلاقية ، وانجازاتها العلمية ، وقد كان للثقافة دروها العظيم في بناء الأمة الإسلامية ، وترسيخ عظمتها ، توطيد سلطانها واستمرار عطائها

ولا يكون المرء مبالغا اذا عرف : " أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة خير أمة أخرجت للناس ، وتميزت بعقيدتها ومنهجها وقيمها وأهدافها ، وكانت هذه الثقافة عاملا أساسيا في إيجاد الأمة التى احتلت مركز القيادة الفكرية ، والزعامة السياسية والصدارة العلمية فى العالم مدة أربعة عشر قرنا من التاريخ البشرى .

وامتنا – فى الوقت الحاضر – أحوج ما تكون إلى هذه الثقافة ، فإنها هى التى تحفظ على الأمة شخصيتها الفريدة ، وعن طريقها يرتبط ماضيها المشرق بحاضر نرجو أن يكون سبيلا إلى مستقبل زاهر "

ومما لا يحتاج إلى دليل أن : الذين أعتنقوا الإسلام وآمنوا به ، رأوا أن حياتهم متوقفة على فهمه ، وحمله للناس جميعا ، كما رأوا أن الإسلام وحده أساس وحدتهم وسبب نهضتهم وعزهم ومجدهم ، لذلك أقبلوا عليه يدرونه ويتفهونه .

ولما كان فهم الإنسان لا يتأتى بغير اللغة العربية ، أقبلوا عليها يدرسونها ويشرحونها ، ويضعون قواعدها ، كما أقبلوا على العلوم الإسلامية يدرسونها ليشرحوا للناس عقيدة الإسلام ، ويبينونها بالدليل والبرهان ، وتفرعت أنواع المعارف لدى المسلمين ، وتناولت أشياء كثيرة ، فتكونت لدى المسلمين ثقافة إسلامية متعددة النواحى ، أقبل الناس على تعلمها جميعا ، مع أهتمامهم بما فى الكون من علوم وصناعات .

وكان كل عالم – مهما كان نوع الثقافة التى تخصص فيها : أدبا أو رياضيات ، أو صناعة – يتثقف بالثقافة الإسلامية أولا ، ثم يتثقف بغيرها .

والتثقيف بالثقافة الإسلامية ضرورة حياتية ، سواء تعلقت الثقافة بالنصوص الشرعية

أم بالوسائل التى تمكن من فهم هذه النصوص وتطبيقها ولا فوارق بين التثقيف بالأحكام الشرعية ، أو الأفكار الإسلامية .

وفى حياة كل أمة مفاهيم أساسية تحرص عليها ، وتعمل على ترسيخها ، وتعميق إدراكها فى شئونها الفكرية والإجتماعية والاقتصادية ، وغير ذلك من أمور الحياة ، وتسعى كل أمة سعيا حقيقيا دائبا ، على أن تكون مفاهيمها واضحة الدلالة فى ذاتها ، مرعية الجانب لدى أبنائها ، واسعة الانتشار والتداول لدى غيرها ، فتؤلف الكتب ، وتعقد المؤتمرات ، وتقوم بالدراسات ، وتصدر النشرات ، وتضع مناهج التربية والتعليم ، وتستخدم بوجه عام كل وسائل الإعلام والتوجيه ، لتوضيح هذه المفاهيم وشرحها وبيان أسسها وخصائصها ، وتفصيل وجوه النفع فيها .

واكثر ما يهتم به قادة الفكر والثقافة المؤمنون بمفاهيم أمتهم ، الدائبون لنشرها ، هو نقلها من حيز النظر المجرد إلى الواقع البشرى الحي ، ووصل حياة الإنسان بها ، بحيث تكون مصدر فكرهم وشعورهم

، وطابع سلوكهم وسمة حياتهم العملية .

ومن هنا يخرج مدلول الثقافة عن قصد المعرفة المجردة ، إلى المعرفة الهادفة ، أو بتعبير آخر : عن المعرفة الساكنة ، التى لا تتجاوز حدود العمل الذهنى ، إلى المعرفة المحركة التى تحدث تفاعلا وحوارا واضح التاثير مع تطلعات الفرد والجماعة.

إن للإسلام مفاهيم صحيحة سليمة كاملة فى كل شأن من شئون الكون والإنسان والحياة ، وإذا كانت المفاهيم عن هذه الشئون لدى الكثير من الفلاسفة والمفكرين ، غير المسلمين تتسم بالغموض والتعقيد تارة ، أو يجانبها الصدق ، والعمق تارة أخرى ، أو تصدر عن الفروض والتخمين حينا ، وعلى الأساطير والأوهام حينا آخر .فإن مفاهيم الإسلام مبرأة من هذه الآفات كلها ، لأنها ليست منبعثة عن نظرة بشرية محددة ، لا تستوعب ذاتها ، فضلا عن ان تستوعب غيرها ، وهى تسفه المنطق السطحى ، وتهدم الظن والوهم ، وتعده زراية بالعقل واستهانة بكرامة الإنسان .

فمفاهيم الإسلام منبثقة عن عقيدة ربانية شاملة ، لا ترتكز إلا على الحقائق الجلية الثابتة ، ولا تقوم إلا على اليقين الجازم ، وهى متسمة بالوضوح والصدق والعمق ، وتقيم – من حيث الاعتقاد والتفكير – لدى البشر جميعا : التصور الصحيح الدقيق المتكامل للكون والإنسان والحياة .

إن منهج الإسلام فى إرتكازه على الحقائق اليقينية الهادفة ، تربط الحقائق المفردة فى الكون والحياة ربطا يصلها بأجل حقيقة و اكبرها ، وهى العقيدة ، وبذلك لا يدع هذه الحقائق المثبوته أمام العقل الانسانى والشعور بالضمير ، ضروبا من المعرفه الجامده ، والمعلومات المجرده ، التى لا روح فيها ولا حياة لها ، كما تحاول خرافة المنهج العلمى أن تصنع .

بل يثبت منهج الإسلام فى هذه المعارف والمعلومات والحقائق الظاهرة والمضمره حياة تفتح البصائر ، وروحا توقظ الضمائر ، ويزودها بالتأثير العجيب الذى يعمل أوثق أواصر الصله بين الحقائق الهادفة ،

والعقول المستنيره والقلوب المتفتحه للايمان والخير

والثقافه عنصر مهم من عناصر حياة الأمم ، تتبين بها صورة كل أمة ، وتتميز بها صيغتها ولونها بين أقرانها ، وهى تدل فى الوقت عينه على تقدمها ، وعلى درجتها فى المدنية والحضارة ، وهى تكون سبب كرامتها وزينتها أيضا

والثقافه وسيلة لغاية أبعد ، وهدف أكبر ، وهل ثمة أجل وأسمى من أن تستحيل الثقافه إلى محركة ، وقوة دافعة ، تصبغ الواقع الإنسانى فى إطار الضمير والشعور والسلوك بصبغة هذه المفاهيم النقيه الخيرة ، وتتمثل فى حياة البشر نظاما وخلقا ، وجهادا وحكما ، وقيادة صالحة تحمل مشاعل الحق والنور لهذه الإنسانيه التى وضعتها المفاهيم الضالة المنحرفه على حافة الدمار الرهيب ، فينبغى أن تنقل هذه المفاهيم واقعا بشريا حيا ، ونماذج إنسانيه فاعلة ، حتى لا تكون كالماء المسفوح على قيعان لا تمسكه ، ولا تنتفع به

وقد أوضح رسول ا (صلى ا عليه وسلم) العلاقه الوثيقه بين الثقافة والعمل وضروة توافر الأمرين معا ، ونجد واضحا فيما جاء عن أبى موسى الأشعرى (رضي ا عنه) عن النبي (صلي ا عليه وسلم) : "مثلما بعثنى ا به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع ا بها الانسان فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفه أخرى انما هى قيعان لا تمسك الماء ، ولا تثبت كلا، فذلك مثل من فقه فى دين ا ونفعه ما بعثنى به ا ، فعلمه وعمله ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى ا الذى أرسلت به ".(رواه البخاري ومسلم)

لقد اشتملت هذه الثقافة على كل المعطيات التى تجعلها صالحة لتكون ثقافة الإنسان ، ذلك أنها نظرت إلى فطرة الإنسان وعالجت غرائزه ، واحترمت عقله ، فكان لها فى حياة الانسان أهميهةومكانة تجعل الوقوف عليها ، والاخذ بها واجبا على المسلم ، بل على الانسان .

ونستطيع أن نقول دون أن نكون بعيدين عن الواقع : إن الثقافه الاسلامية أصبحت فى ظل انتشار الإسلام وظهوره ثقافة إنسانيه وعالمية ، وقد انطوت على طاقة روحية جعلت منها قوة فاعلة وبانية ، يضاف إلى ذلك : أن الثقافة الإسلامية تمتد على مساحة الدنيا والآخرة ، وهذا الامتداد الزمانى والمكانى الموغل فى الأعماق ، جعل الثقافة الإسلامية تختلف عن ثقفات أخري بعضها يتوغل فى ماديات الحياة ، ثم يضفى عليها مسحة من العبادة والفلسفة ، وبعضها الآخر يسلك طريق الروحيه التجريدية .

أما الثقافة الإسلامية : فقد جمعت بين الروح والمادة ، ولهذا لاءمت حياة الناس .

ولما كان الإسلام دين قيم وضوابط سلوكية ، كانت الثقافة الإسلامية موجهة ومربية ، وتتصل بحياة الافراد ، وحياة الجماعات ، وتؤهل الإنسان للعطاء ، وتنمى فيه القدرة على الانتاج والابداع بما تفتح له من ا ً فاق التفكير والممارسة .

وتجعل الشخصية الإسلامية شخصية متزنه لا يغطى على موقفها الانفعال ، ولا يسيطر عليها التفكير المادى ، ولا الانحراف الفكرى المتأتى من سيولة العقل وامتداد اللا معقول

ومن المعروف : أن الإسلام قد وثب بالمسلمين وثبة هائلة . هذه الوثبة الهائلة كانت على أثر إشعال القرا ً ن الكريم فى جنبات الدنيا والإنسانية ، فأنارها بعد ظلمة ، وهدى الإنسانية بعد حيرة ، ونظمها بعد اضطراب ، وفتق أذهان أبنائها بعد ارتقاق ، وأزال الصفاد والقيود التى كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر . فانطلق المسلمون يقرأون ويبحثون ويطلبون العلم فى مظانه .

واستطاعوا فى ظل الثقافة الإسلامية التى دعت الناس إلى معرفة كل ما من شأنه أن يأخذ الناس إلى طريق الرشاد ، أن ينتقلوا من أمة الأمية الي أمة العلم والقيادة الفكرية ، وأن يصبحوا أساتذة العلم وسادة العالم ، وقادة الفكر والرأى ، ورواد المعرفة والحضارة .

وبحثوا ، ودرسوا وأضافوا ، وجددوا وابتكروا ، فكان ذلك النتاج الحضارى الأصيل .

وإذا كانت الأمة الإسلامية فى العصر الحاضر تتطلع إلى غد مشرق ، فإن الأمة تملك رصيدا ضخما من الثقافة الفاعلة يمكنها من نشر السلام فى الأرض والإسهام فى استقرار الجماعات .

ومما ينبغى أن نشير إليه : أن الأمة الإسلامية تحكم علاقتها وانفتاحاتها على الآخرين قاعدة أساس وهى صحة كل علاقة وسلامة كل حوار ، وهى التزام مبادئ وقيم وتعاليم دين ا ، وهذا بين فى قوله تعالى : (وأن احكم بينهم بماأنزل ا ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل ا اليك فان تولوا فاعلم أنما يرسد ا أن يصسيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون) (المائدة : 49)

وقد يكون واضحا أن المسلمين وهم يعرضون مبادئ وتعاليم الإسلام على الناس ، تحكمه قيم وآداب لا ينبغى للمسلمين تجاوزها ومخالفتها ، ولا يصح معها تجريح وسباب معتقدات الآخرين ، وهذا صريح فى قوله تعالى: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون ا فيسبوا ا عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الي ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)الانعام 108.

والمجتمعات الإسلامية وفق تعاليم الإسلام وقيمه مأمورة ، بالتزام العدل وإنصاف الناس مع وجود الاختلاف فى العقيدة وقيام الخصومة والشحناء معهم ، حيث يقول ا سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم علي ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا ا ان ا خبير بما تعملون)المائدة :8

إن منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة يعلم المسلمين ويؤكد عليهم : أن البشرية مدعوة بأمر ربها جل شأنه، للتعارف والتعايش وفق القيم والمعايير الربانية على اختلاف أجناسهم وأعراقهم

وأديانهم وألوانهم ، وإتيان الحق ومجانبة الباطل هو أساس التنافس بينهم ، وهو أساس معيار القرب والبعد من تقوى الله ومرضاته ، وهذا بين فى قوله تعالى :) يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات 13.

ومجتمعات الأمة الإسلامية يحدوها وهى تنفتح على غيرها من الناس أن تنقل تعاليم الله وتوجيهات الرسول (صلى الله عليه وسلم) التى تطالبها وتؤكد عليها السعى فى تحقيق مصالح العباد ، وجلب المنافع لهم ، وأن ذلك السعى الصادق هو السبيل لنيل محبة الله تعالى والفوز بمرضاته حيث جاء فى الأثر :" الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله أنفعهم لعياله " .

وإن الإسلام يؤكد : أن أساس دين الله تعالى : يقوم على إقامة العدل بين الناس ، وشيوع قيم الإحسان بينهم ، والعمل على منافحة الفحشاء ، والمنكر ومحاربة البغى فى حياتهم .

وقد عظم فقهاء الإسلام قيم العدل ، حتى جعلوه معيار لنصرة الله وتأييده ، وهذا كله فى ضوء فهمهم لقول الله تعالى : والبغي يعظكم) ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي وينهي عن الفحشاء والمنكروالبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (النحل : 90)

والمسلمون يعتقدون بمشروعية التدافع الإنسانى ، ويؤمنون بأن منهجية التدافع بين الناس القائمة على أساس التنافس ، فى جلب المصالح ، ودرء المفاسد عن الأرض ، وهذا مؤكد فى قوله :(فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وءاتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل علي العالمين) البقرة : 251

ومن جهة أخرى : فإن التدافع بين الناس لجدير بحماية حرية الناس فى معتقداتهم وأنماط حياتهم ، وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم ،وهذا بين فى قوله تعالى :) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها

اسم ا كثيرا ولينصرن ا من ينصره ان ا لقوي عزيز) الحج : 40

ومن مفاخر الفقه السياسى فى الاسلام ، أن الشرائع جاءت لتحقيق مصالح العباد حيث إن مبناها يقوم على تحقيق المصالح ودرء المفاسد .

والأمة الإسلامية تعتقد وتؤمن فى انفتاحها على الآخرين بأنها شريكة مع غيرها فى منهج الاستخلاف لعمارة الأرض وليست محتكرة هذا المنهج ، وأن غياب المسلمين أو تغييبهم عن المشاركة فى منهج الاستخلاف ، أو تجريد هذا المنهج من القيم الربانية ، سيؤدى لا محاله إلى فساد الأرض ودمار الناس عليها ، وهذا مؤكد فى قول ا تعالى) ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل ا فأحبط أعمالهم * أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر ا عليهم وللكافرين أمثالها) محمد 9 : 10

إن مبادئ الإسلام وقيمه تعلم المسلمين وتؤكد عليهم فى انفتاحهم ، ألا يبخسوا الناس أشياءهم ولا يحتقروا كدهم وجهدهم فى كل عمل بناء ، يحقق الإعمار والإبداع الحضارى وتلزمنا تعاليم الإسلام احترام وتقدير كل عطاء خير فى ميادين القيم والسلوكيات ، وفى ميادين الماديات والوسائل والمهارات ، وهذا يلتقى مع قيم وتوجيهات منهج الاستخلاف الربانى فى عمارة الأرض لأن القرا ن الكريم يعتبر احتقار سعى الناس ، وبخس دورهم من العبث والإفساد الذى يمقته الإسلام ، ومن ثم نهى عنه وهذا يتضح فى قوله تعالى (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) هود : 85

إن الأسلام مثلما وضع ثوابت ومنطلقات ، وقدم قيما ومبادئ كلية لضبط أدبيات ومقومات التعايش البشرى والتعارف الإنسانى ، فإنه أيضا وضع ثوابت ومنطلقات وقواعد وأسسا لضبط حركة مصالح الناس ، وقدم أيضا قيما وأدبيات لإحكام سيولة تبادل المنافع بين المجتمعات ، فى إطار التعايش والتعارف بينهم .

وبعد : فإن المسلمين وفق هذا المنهج الربانى العادل ، وموروثه القيمى والتشريعى وفى ضوء قدراتهم

المادية والسياسية ، يجدون أنفسهم مؤهلين كل التأهيل لأداء مهمتهم وإسهاما تهم الإيجابيه الفاعله فى معترك التدافع الإنسانى البشرى ، لإقامة نظام عادل ينهى حال القلق والذعر التى تحيق بالناس ، ويصرف أسباب الفساد عن الأرض ، ويضع حدا لتدهور العلاقات فى أكثر من موقع ، ويزيل عوامل الاضطراب والجشع والصراع السياسى والاقتصادى بين الأمم ، ويضبط حركة التدافع الإنسانى ، ويقيم موازين القسط للتعايش ، والتعاون البشرى ، ويرتقى بمنهج التبادل والتكامل ، والانفتاح الثقافى ، بما يحقق للناس تطلعاتهم لحياة الإنسانيه اًمنه مطمئنه تنعم بالأمن والاستقرار ، والعدل ، والسلام .

وواجب المسلمين من أجل هذه المهمة الجليلة النبيله أن يديروا حواراً بناء مع أى جهة معنية وفاعلة ، شعبياً ورسمياً، للسير بالإنسانية نحو الخير والفلاح

وقد لا يخفى على أحد أن الأمة الإسلامية تمتلك رصيدا ضخما من القيم الهادفة يمكن استثمارها فيما يفيد الإنسانية جميعا ، ونحن نشير الى المعالم الإسلامية ، نؤكد علي ما يلى :

أولا: ان الانفتاح الثقافى ليس معناه فرض التجارب والنماذج الوافدة من بلدان وحضارات معينة ، والتى يتم إسقاطها على واقع مغاير للواقع الذى بعثت فيه . وأن نقل التجارب ونشر المفاهيم التى أفرزتها سياقات تاريخيه واجتماعيه معينة وتصدير البرامج ، لا يمكن أن ينجح إلا فى سياق تواصلى ومناخ تفاعلى ، ورؤية تبادلية تحترم خصوصية الآخر وذاتيته الحضارية والثقافية . وذلك أن قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان التى تركز عليها الحضارةالغربية اليوم لا تنفك تجد فى سياساتنا وبرامجنا الصدى الواسع والإيمان العميق لكننا بالقدر ذاته لا ننفتح عليها ولا نطلبها ولا نجسدها إلا فى سياق خصوصيات وتجارب الأمة الإسلامية ، منطلقين من قيم الحضارة الأسلامية وأساليبها فى التربيه والتنشئه المنبثقه عنها ، ومن مبادئ حقوق الانسان التى ورثتها الشريعه الاسلامية وسبقت بها الدنيا كلها بأكثر من خمسة عشر قرنا مضت .

وفى هذا الاطار نحن نؤكد على أهمية الترابط الإنسانى ، ونرفض عمليات إسقاط المفاهيم على مختلف التضاريس ، كما نرفض تعليب القيم ، وإملاء التجارب.

ثانيا : كما أن مفهوم المسلمين للانفتاح لا ينفصل عن الأبعاد الخلقية للقيم الثقافية والدينية عموما ، فثقافة المسلمين انبثقت تاريخيا عبر منظومة القيم التى كانت ولا تزال تمثل جزءا من رصيد الأمة الحضارى ، وهى منظومة تميز نسيج الأمة الاجتماعى بمختلف خلاياه ، وأن إبراز البعد الخلقى فى الانفتاح نابع من احساس المسلمين وقلقهم مما يهدد وجودهم الحضارى بسبب انحرافات تجسدها المنافسة الشرسة التى باتت محكومة بمنطق الربح والخسارة فضلا عن الكثير من الماظهر التى ابرزتها ظروف العصر ، وباتت تهدد المجتمع .

ومع هذه المحاذير يتعين كذلك تبين طبيعة المعوقات التى تعترض طريق هذا الانفتاح ، وبخاصة الحوار الإسلامى الغربى وفى مقدمتها العداء الغربى غير المبرر للاسلام والصورة المشوهة التى يلصقونها به .

ثالثا ً : كما بات من الضرورى مضاعفة الجهد لدعم حركة التعريف بثقافة المسمين

إن تحقيق الانفتاح يتطلب استمرار بذل الجهود والمحاولات , لأنه مهدد باستمراربعض الأخطار والمنزلقات فالانفتاح ليس في مأمن من التوتر والتأزم والتعثر والركود.

والانفتاح عملية تفاعلية , لايمكن أن تعلب أو تفرض, لكن المهم الوعي والاقتناع بأن مايعتري الأمة أحيانا من الانتكاسات انما هو أمر مرحلي وعادي , ومن المفروض أن يدفع بالمسلمين الي مزيد من العمل من أجل المرتكزات التي أسلفنا ذكرها تسندها في ذلك مؤسسات المجتمع المدني

إن الانفتاح الحقيقى على الحضارات يشكل أبرز التحديات التي يواجهها العالم اليوم فهو شرط أساسى من شروط التعايش السلمى بين الشعوب .

ونحن نعتقد أن الحضارة الإسلامية قادرة فى ظل التحولات الدولية والتحديات المستجدة بفضل رصيدها التاريخى ، والثقافى ، وتجاربها الثرية ، على أن تلعب دورا إيجابيا فى تعميق نهضة ووحدة الأمة الاسلامية وفي تعميق مبادئ الانفتاح بين الأمم والشعوب ، وتحقيق معانى التفاهم والسلام الدوليين لتأخذ الحضارة الاسلامية مكانتها الرائدة فى المجتمع العالمى الجديد .

ثالثا:دور الاعلام في تثبيت ثقافة الوحدة ومكافحة العزو الثقافي والاعلامي

تعتبر مسألة الغزو الثقافي والإعلامي من أولى المسائل التي واجهت وتواجه الأمة الإسلامية والوطن العربي تحديدا فقد وعت الدول الغربية العظمى إلى خطر يهدد قوتها وأستمرار سيطرتها على العالم، وهذا ما لا يروق لها بل ويقض مضاجعها فبدأت بوضع وتكريس كافة إمكانياتها للوقوف في وجه هذا التهديد وتنبهت للطرق الأسهل والأسرع فتوجهت للمسلمين من خلال إعلام صنعته لغرض تغريبهم وجعلهم أسري لما يرونه ويشاهدونه.

فما لا شك فيه أن الإعلام بكل أنواعه وتقنياته قد أحرز نجاحاً باهراً في جميع المجالات وهو من أقوى وسائل الإقناع الذاتي في أتباع الأسلوب الهادئ والرزين دون اللجوء الى العنف. لكنه في نفس الوقت أنفذ الى القلوب من السهام وأشد وقعاً على النفوس، إذ له ظاهر أنيق ومنظر جذاب وهيكل أخاذ إضافة الى مجموعات الإثارة الكاملة والمواد الغزيرة والمعلومات المتدفقة الى ما لا نهاية، من التصوير والإضاءة وما شابه. فلا بد من تأثيره الفعال ونفاذه الى الأعماق بصورة سريعة ومباشرة، والغرب من حيث طول الباع لديه في هذا المجال واهتمامه التام في تطويره قد قطع شوطاً مهماً في سبيل ذلك.

ولكن هل نصدق كل مايقوله الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين وأنه من نتائج(صدام الحضارات) الذي

يدعو إليه ساسة الغرب ومفكروه، وأن الحملات الإعلامية المتعاقبة التي لا يكاد ينجو منها بلد مسلم ليست إلا وجهاً من وجوه حرب الإساءة والتشويه التي اعتمدتها دول الغرب سلاحاً ماضياً في صراعها؟

إنه قوة هائلة كاسحة في التأثير تغطي القارات الخمس بلا منازع لتزرع في أذهان الشعوب ما تشاء من الصور، لا تبالي في ما تتناوله من أحداث العالم بالعرض والتحليل إلا ما تراه يخدم مصالحها وينجح في إيصال ما تريد وترغب وقد لعبت ثورة الاتصالات دورا كبيرا في نجاح هذا الإعلام وجعلت منه قوة تفوق قوة السلاح فبعد أن كان توزيع الصحيفة لا يتجاوز البلد الذي تصدر به جاءت وسائل الأتصال الحديثة من أ قمار صناعية وأنترنت لتلغي حدود الدول وتوصل المعلومة للقارئ أينما كان، فشعوب العالم لا تعرف في معظم الأحوال عن الإسلام وقضاياه إلا من خلال ما تتلقاه من الإعلام الغربي مع كثير من التحريف والتضليل والإساءة , وقد دلت الدراسات و الاحصائيات العلمية الجديدة، بأن برامج القنوات الفضائية العربية تقتصر على المادة الترفيهية وافلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، اي ان ثقافة الصورة تطغى عليها وكذك كثير من الظواهر السلبية التى تتمثل بالاغتراب، القلق، اثارة الغريزة، الفردية، العدوانية، دافعيّة الأنحراف، وكلها مفردات تتأسس في ادراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم بحيث تتحول من مجرد صورة ذهنية الى نشاط عملي عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطبيع الاجتماعي.

وأن الاطفال والمراهقين والشباب يتأثرون بنتائج هذه الثقافة الإعلامية، ومن المحتمل ان تخلق برامج الفضائيات العربية الاضطراب الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكيّة، والهروب من التصدي لواقع الحياة، والاستسلام له، والانبهار بالنموذج الأجنبي على حساب الهوية الثقافية، وكذلك تراجع الانتماء للهوية وازدياد اليأس والاحباط.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبحنا نلمس على انها قد تحمل توجهات سياسية وفكرية ملغومة تريد تدمير الواقع الاسلامي وثقافة المجتمع المسلم وقيمه.

كذلك تأتي مسألة الغزو الثقافي للمجتمع الإسلامي من أولى المسائل التي أخذت الحيز الكبير لدى الباحثين نتيجة الأثر الواضح الذي خلفه هذا الغزو في البلادالعربية والإسلامية والذي قامت على نشره

وترويجه مؤسسات ومنظمات ومراكز متعددة منها الصهيونية والاستكبار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والتبشير والاستعمارالجديد والأيديولوجيات المعادية للإسلام كالديموقراطية والليبرالية والشيوعية والقومية والفلسفات الهدامة فنتيجة الصحوة الإسلامية المعاصرة تفاقمت نزعة العداء نحو الإسلام من قبل أعدائه، وبالتالي ازدادت جهودهم لتوسيع المفاهيم الخاطئة عن الإسلام في أذهان الغربيين من جهةلاخافة من يريدون اعتناق الاسلام ، وتصعيد عمليات الغزو الثقافي للمسلمين من جهة أخرى لمحاولة ابعاد المسلمين عن دينهم .

ومن أهم أشكال وأساليب هذا الغزو هو ما يلجأ إليه الغرب في حربه ضد المسلمين والإسلام من عرضه الخبيث للفارق بين واقع المسلم وواقع المواطن الغربي من جميع النواحي، فهم يصورون الغربي على حالة من الرفاهية والنعيم التي يصعب على المسلم أن يصل اليها، ويصورونه في حالة من الحرية والرخاء وحرية القول والعمل، بينما المسلم مكبوت مضطهد لا يستطيع أن يتصرف أو يتكلم بحرية! ويحاولون الصاق هذا التخلف والتأخرفي تمسك المسلمين بالاسلام , ويلقون في الاذهان أن الاسلام هو سبب تأخر المسلمين وتخلفهم.

وبعد أن يرسخ أعداء الإسلام هذه المفاهيم في الأذهان وكأنها أمر واقع لا سبيل إلى تغييره يمضون في بث الشعارات والمفاهيم المغرضة، ولنعترف بأن هذه المفاهيم المغلوطة قد تكونت لدى كثير من الأجيال المعاصرة واستطاعت أن تحدد للدين دوره بمعزل عن الحياة وفي زاوية ضيقة يلخصها شعار- فصل الدين عن الدولة -أو تلغي دوره من الحياة أساسا، فهو لا يرتبط بالواقع من خلال المعاني التي تصنع القوة والحركة والتقدم، بل ينظر إليه باعتباره سبب الضعف والجمود والتأخر كما تدل على ذلك شعارات كاذبة مثل " الدين أفيون الشعوب " و " الدين ضد العلم "....!!

ويمكن أن نعدد أيضا من أساليب الغزو الثقافي المحاولات التالية:

1- توظيف السينما والتلفزة، فثمة مئات من الأفلام السينمائية الغربية التي تحاول تشويه صورةالعرب والمسلمين، ويومياً تبث القنوات الفضائية عشرات المسلسلات التلفزيونية التي تكرس فكرة تخلفهم .

2- توظيف الكثير من الكتاب والمؤلفين ليكتبوا ما يشوّه صورة الإسلام بأسلوب خبيث ذكي وليتسرب بذلك السم إلى عقولنا .

3- تشجيع الخلافات المذهبية بين المسلمين وتعميقها ثم إبرازها عبر وسائل الاعلام على أنها تمثل الإسلام

وفي كتاب :(المنظور الإسلامي للثقافة والتربية،) للمؤلف: د. محمد عبدا لعليم مرسي. يستعرض الكاتب مفهوم الغزو الثقافي وأثره على المجتمعات العربية واصفاً إياه بأنه أحد أشكال الاستعمار الجديد ويسميه «الصليبية الجديدة» التي تعمل على تنصير العالم ومحاولة فرض التغريب على بعض الأقطار عبر النخب الحاكمة والمثقفين المنبهرين بحضارة الغرب .

ويشير الكاتب إلى أن مؤسسات الا علام في بعض الدول العربية والاسلامية تأخذ ماهو سطحي وخالي من المضمون من المادة الإعلامية الغربية وتقدمه للمتلقي العربي رغم تعارضه مع مبادئ الدين الإسلامي.

وقد وصل الغزو الثقافي إلى حد إهمال اللغة العربية في الكليات العملية وبالتحديد الطب والصيدلة والهندسة، حيث يجرى التدريس فيها باللغة الإنجليزية.بدعوي أنها أسهل للفهم، إلا أنه أمر بعيد كل البعد عن الحقيقة فالمقصود هو تغريب الأمة وابعادها عن لغة القرآن ومن ثم ابعادها عن دينها

وللغزو الثقافي جوانب تشمل تقلص حجم العلوم الشرعية ومقررات الهوية الإسلامية في المدارس والجامعات والتوسع في إقامة المدارس الأجنبية النصرانية في بلاد المسلمين، وهنا تأتي أهمية الثقافة في أنها تعمل على تماسك البناء الاجتماعي داخل المجتمع، وتحقيق الطمأنينة للفرد وإشباع حاجته للأمن، وتحفظ للمجتمع تراثه القديم،

وما نراه من غزو ثقافي أمريكي تجاه المنطقة في صور التعاون المشترك في مجال البحث العلمي والبحوث المشتركة والذي بدأ يتزايد مع بداية القرن العشرين.

فقد أنشئت مدارس غربية وجامعات أجنبية في العديد من الدول الاسلامية تعتني بالثقافة الغربية وبلغات تلك الدول, وتهميش مواد الدين واللغة العربية , وتقدمت الولايات المتحدة في ذلك الوقت بعدة مشاريع بدعوي التبادل التعليمي قدمت من خلالها في السنوات العشر الأولى (1952 - 1962) 30 مليون كتاب أمريكي في سعيها لهيمنة الثقافة الأمريكية على الثقافة الاسلامية واللغة العربية وجعل القارئ العربي في موضع مقارنة بين الثقافة الأمريكية التي تروجها هذه الكتب والثقافة الاسلامية التي تصفها بالتخلف والبعد عن الواقع،

وعلى مدى خمسة وثمانين عاماً، ظلت الجامعة الأمريكية في مصر تدافع علناً عن النظم الاجتماعية الغربية .كما أن معظم القائمين على تدريس التاريخ الإسلامي في هذه الجامعة هم أساتذة مسيحيين أجانب، ويقومون أيضاً بتدريس تاريخ الشرق الأوسط والحركات الإسلامية المعاصرة، حتى المدرسات المسلمات يتم تصعيد المعاديات للإسلام منهن لهذا القسم

دورالاعلام و المؤسسات التربوية في مكافحة الغزو الثقافي:

ويتلخص هذا الدور في الآتي:

- قيام علماء التربية بكشف أهداف المدارس الأجنبية المقامة في البلدان الإسلامية، وتفنيد مناهجها

ومقرراتها الدراسية ونشاطاتها وتوضيح مخاطرها على الأمة، واقتراح مناهج ومقررات بديلة، ودراسة آثار خريجي هذه المدارس على المجتمعات المحلية التي ينتمون إليها ويعملون في مؤسساتها.

- أن تعرض البرامج والمواد الإعلامية المستوردة من الخارج على لجان متخصصة من أساتذة التربية والإعلام، لكي يبدوا رأيهم فيها قبل أن تقدم للمجتمع.

- إعداد كوادر للعمل الإعلامي وذلك في مرحلة التعليم الجامعي، مع عدم إغفال البعد التربوي في هذه العملية، ويقتضي ذلك أن يشارك أساتذة التربية في وضع الخطط الدراسية لكليات الإعلام..

- قيام الدعاة وخطباء المساجد بتبصير الناس بمخاطر الغزو الثقافي وأساليب عمل مؤسسات هذا الغزو ، وأن تعتمد الخطب على البيانات والمعلومات الموثوقة..

ومن هنا نرى أن الإعلام والغزو الثقافي الأجنبي أصبح يشكل أكبر تهديد للثقافة العربية والإسلامية، لأنه يكون كوادر موالية للحضارة الغربية، وبالتالي إزالة أي أثر لثقافة الشعوب وحضارتها وهو ماتسعى بكل ما أوتيت به لإكمال سيطرتها على العالم.

الهوامش والمراجع :

· بحث لصديقنا الاستاذ الدكتور احمد السايح بعنوان اً فاق ثقافة الأمة

(1) فاروق حسان ، مقال بمجلة الخفجى ، أبريل سنة 1990 م ، السن العشرون ، العدد ص 12 ، السعودية .

(2) محمود محمد شاكر ، المتنبى ، رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا ،ص18، ط/ مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة 1407هـ/1987م

(3) ابن منظور ، لسان العرب مادة " ثقف" والفيروز اًبادى ، القاموس المحيط والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، القاهرة .

(4) د- محفوظ على عزام ، نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص11 ،ط/ دار اللواء بالرياض ، سنة 1404هـ/ 1987م.

(5) عمر عودة الخطيب ، لمحات فى الثقافة الإسلامية ص 23، ط/ مؤسسة الرسالة . بيروت ، سنة 1397هـ

(6) ابن عطية الاندلسى ، المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ،/ ج2 ، ص 140 ، ط/ قطر ، سنة 1401 هـ ا

(7) ابن عطية الاندلسى ، المحرر الوجيز ، ج4، 1968، ط/ قطر ، سنة 1402هـ .

(8) المصدر السابق ، ج6، ص 346، سنة 1404هـ .

(9) عز الدين الخطيب التميمى واخرون ، نظرات فى الثقافة الاسلامية ، ص 3، / دار الفرقان ، عمان الاردن ، سنة 1404هـ / 1984م.

(10) عز الدين الخطيب التميمى واخرون ، نظرات فى الثقافة الاسلامية ، ص 3، / دار الفرقان ، عمان الاردن ، سنة 1404هـ / 1984م .

(11) سميح عاطف الزين ، الثقافة الاسلامية ، ص41، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، سنة 1403هـ / 1983.

(12) عمر عودة الخطيب لمحات فى الثقافة الاسلامية ، ص11.

(12) المصدر السابق، ص12

(14) عمر عودة الخطيب ، لمحات فى الثقافة الاسلامية ، ص 53- 54 .

(15) المصدر السابق ، ص54.

(16) محمد الرابع الحسنى الندوى . الثقافة الاسلامية والواقع المعاصر ، ص57، ط/ دار الحصورة بالقاهرة ، سنة1410هـ .

(17) عمر عودة الخطيب ، لمحات فى الثقافة الاسلامية ، ص54.

(18) الحديث رواه البخارى ومسلم .

(19) سميح عاطف الزين ، الاسلام وثقافة الانسان ، ص 38، ط/ بيروت ، سنة 1983م .

(20) راجع الدكتور احمد السايح ، المعرفة فى الاسلام بين الاصالة والمعاصرة ، ص 60 ، ط/ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(21) انظر الدكتور عباس الجرارى ، الاسلام والنظام العالمى ، ص 13.

(22) انظر الدكتور حامد الرفاعى ، الاسلام والنظام العالمى الجديد ، ص 130- 131.

(23) المصدر السابق ، ص 130 .

(24) المنجى بوسنينة ، جريدة الحياة ص9 يوم 2/12/2001م .

(25) المصدر السابق.

(26) الدكتور احمد السايح – افاق ثقافة الامة – مرجع سابق ص 15

(27)د. محمد عبدالعليم مرسي – المنظور الاسلامي للثقافة والتربية

(28)-د. ياس خضير البياتي-الغزو الاعلامي والانحراف الاجتماعي-دراسة تحليلية لبرامج الفضائيات العربية

(9)- د.عبدالرحمن حمادي- صورة المسلمين في السينما العالمية

(30)- د. سليم علي عواد – نحن والآخر

(31)- د. عادل اللقاني – من يصنع قوة الاعلام الجديد

http://www.al-islam.com/arb/Nadwa/doc/book%2045.doc

http://www.meduconf.com/uploader/Pdf/Tuesday4_01.doc